وما ينطق عن الهوى

للاستاذ محمود شلبى

عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الاسلام فقال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى ياعمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . (أخرجه مسلم) .

يعتبر هذا الحديث من أعلى وأجل وأكمل أحاديثه صلى الله عليه وسلم .

ففيه بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسؤال من جبريل عليه السلام .

وتتجلى العظمة فى أبهج معانيها عندما يكون السائل جبريل والمجيب محمد .

وأى عظمة تلك التى اجتمع لها الجمال والكمال من طرفيه . فلو أن صحفيا ذائع الصيت قام الى رئيس دولة كبرى يسأله لرأيت الناس يتلهفون على قراءة الأسئلة وأجوبتها ، احساسا منهم بخطورة الكلام وعظمة البيان .

فكيف والسائل هنا هو جبريل .

وما أدراك ما جبريل .

سفير رب العالمين لدى رسول الله وانبيائه . الروح الأمين ، الذى ائتمنه الله على كلماته ، فحملها وأوحاها الى رسله ، وهم بدورهم أوحوها الى عباد الله .

وكيف والمجيب هنا هو محمد .
وما أدراك ما محمد .
محمد رسول الله .

خير خلق الله ، وأصفاهم روحا ، وأسماهم نفسا ، وأعلاهم ايمانا ، وأقواهم حجة ، وأنصعهم بيانا ، وأرفعهم مقاما .

وعندما يجتمع للسؤال شرف السائل وشرف المسئول ، فهو خير سؤال وجوابه خير الجواب .

ويزيد السؤال شرفا ، أنه عن أنباء هى أخطر الانباء ، وأخبار هى أشد الاخبار خطورة لو يعقل الناس .

انه يسأل عماذا ؟ .

يسأل عن أمور هى أمور كل الناس ، وأحوال هى أحوال كل الناس .
قال جبريل : يامحمد ... أخبرنى عن الاسلام .
ما هو الاسلام يامحمد ؟ .

وينبغى هنا أن يتنبه أولئك الذين يعملون فى حقل الدعوة الاسلامية، فليصغوا باذانهم وقلوبهم ، فان نفس السؤال يلقى عليهم من الكفار والعصاة والمسلمين أنفسهم .

يريد الناس كافة أن يعلموا ما الاسلام ، فى كلمات قليلة ، ناصعة واضحة بيضاء .

هاكم اجابة محمد صلى الله عليه وسلم ، العقل الرائع ، والقلب السليم، والفكر العميق .

قال محمد صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا اله الا الله .

أصل الأصول ، وقلب الشريعة ، وروح الحقيقة أن تشهد يا انسان أن لا اله الا الله .

وماذا بقى من الحقائق بعد هذه الحقيقة ؟ .

آه لو تشعشعت هذه الحقيقة وحدها الى قلبك أيها الانسان .

انك اذا أعظم ما خلق الله ، لأنك أدركت أعظم الحقائق التى أرادها الله فى هذا الكون الرائع .

وماذا يبقى من العلم بعد ادراكك لتلك الحقيقة العظمى ؟ .

لا شيء والله ... من بلغها فقد بلغ العلم كله ، ومن فقدها فقد فقد العلم كله ، ولو كان أعلم الناس بعلوم الناس .

وذلك هو السر فى أن الله تعالى يدخل جهنم من ينكرها ويدخل الجنة من يؤمن بها .

ذلك أن كل شيء بدونها باطل ، وكل شيء معها حق .

ثم يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير خيرا فيقول : وأن محمدا رسول الله .

بأبى أنت وأمى ياسيدى وحبيبى يارسول الله ... تالله انك لأنت الطريق الى الله ، وأنت الذى عرف الناس كيف يعرفون ربهم .

وان أولئك الذين آمنوا بالله وكفروا بك قوم كذابون .

لأن كل من آمن بالله ، طالبته روحه ان كان صادقا فى ايمانه - أن يبحث عن الطريق الى الله .

ولن يكون الطريق الى الله ، الا ما جئت به ، وبلغته عن ربك .

ثم انى أطالب كل انسان أن يتعمق ذلك المعنى « أن محمدا رسول الله » .

ما معنى أن محمدا رسول الله ؟ .

معناها ؟ ...

آه لو فكرتم فيها أيها الناس ...

ان من معانيها أن محمدا رسول الله حقا وصدقا . فاذا انسكب ذلك فى نفسك ، أحببته صلى الله عليه وسلم ، فاذا أحببته أتبعته ، فاذا أتبعته وجدت نفسك فجأة مع الله .. هنالك تخر للأذقان ساجدا وأنت تبكى وتقول ... أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

هاتان هما الحقيقتان العظميان .. طوبى لمن آمن بهما .. ثم طوبى لمن آمن بهما ...

ثم يقول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من بيان الأصل الأول من الاسلام : وتقيم الصلاة .

شيء هين اقامة الصلاة ، فان أكثر الناس يصلون ، فما بالهم لا يعرفون الحق من الباطل ؟ .

كلا ان أكثر المصلين لا يصلون .

انهم يأتون بحركات تقليدية ميتة ، ويقومون ببهلوانيات لا روح فيها ولا حياة .

ولو صلى المصلى حقا ، لانفتحت له أبواب السماء ولانبجست له عيون المعارف واللطائف ، تنفجر بالحب والرحمة والجمال .

ولكن الناس لا يصلون .

انهم يقومون اليها كسالى ، ويتحاملون على أنفسهم كالحبالى .

ولكنهم لو صلوا الصلاة لوقتها ، فى حضور وخشوع ، واقبال على الله، وأتموا فرائضها وسننها ، لخرجوا منها بشىء رائع .

بحضرة الهية يذوقون فيها ألوانا وأصنافا من الفيوضات الربانية .

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : وتؤتى الزكاة .

مفروضة أو مسنونة .

يخرج زكاة ماله لأن الله أمر أن يخرج الاغنياء فضول أموالهم للفقراء .

ثم هناك من بعد الزكاة الصدقات ، وهو باب آخر له من أبواب الترقى للمؤمن .

مجتمع متكافل متعاون متكامل .

وان أكمل السبل وأهداها لمقاومة المبادىء الشريرة لهو العدل .

العدل الحقيقى ، لا العدل المزيف .

العدل الذى ينتصر للفقراء من الاغنياء ، وليس ذاك الذى يضعه الاغنياء ليستذلوا أعناق الفقراء .

والزكاة هى مظهر من مظاهر تحقيق العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : وتصوم رمضان .

شهر من اثنى عشر شهرا ، يتخلى فيه الانسان لربه ، ويدع طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله .

ومن صام حقا غفر له حقا .

« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ... »

ثم يقول صلى الله عليه وسلم ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .

تلك خاتمة المطاف للمسلم ، أن يزور بيت الله العتيق ، فيتذكر جهاد النبى صلى الله عليه وسلم ، وبلاءه فى دين الله ، ونصرة شريعة الله .

وليربط المسلم نفسه بمعنويات ذلك الدين ومتابعه .

ولكن لمن ؟ .

لمن استطاع اليه سبيلا ... لا حرج فى الدين ...

وكذلك فى كلمات قليلة ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فأوعى .

وصدق الله : وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ...

محمود شلبى